

النص:

يقول الباحث فايز الكرمي: "تقوم الإحالة بدور بارز في إنشاء التماسك الدلالي للنص، فمنها ما هو إحالة إلى داخل النص أو اللغة، ومنها ما هو إحالة على خارج النص، وهذا النوع مرتبط بأنواع محدودة من النصوص، وتحتاج إلى جهد أكبر للكشف عنها، وإيضاح كقيمتها، وتأويل العنصر غير اللغوي الذي يحكمها ويقع خارج النص، وفي هذه الحالة يستعان بالسياق والمقام الخارجي في تفسير الإحالة النصية".

حلّ القول مبرزاً:

1. مظاهر الإحالة التي تحقّق اتّساق النّص وانسجامه.

من الأدوات التي تُسهم في اتّساق النّص وانسجامه، ما اصطلح عليه علماء الدراسات النصّية بالإحالة، فبواسطتها يغدو النّص بنية لغوية دلالية في الآن ذاته، ومن مظاهرها:

أ. الإحالة إلى داخل النص (2ن): حيث تحقّق البنية اللغوية للنّص، كالضمائر التي تنوب عن الأسماء والعبارات والجمل فتتفادى التكرار وتختصر لغة النّص دون الإخلال بدلالته. ضمن الإحالة النصّية الداخلية، قد نجد:

- إحالة نصية قبلية (1ن): تُعيد القارئ إلى عبارات سابقة، مثل: محمد هو الرسول الذي أخرج الناس من الظلمات إلى النور. فالضمير (هو) يعود على محمد (اسم سابق ذكره).

- إحالة نصية بعدية (1ن): توجّه القارئ إلى عبارات ستُذكر لاحقاً، مثل: هو شاعر الثورة الجزائرية مفدي زكريا، فالضمير هو (المذكور في البداية) يوجّه إلى شخصية مفدي زكريا المذكور في النهاية.

ب الإحالة على خارج النّص (2ن):

في هذه الحالة تقوم الإحالة بربط النّص بالسياق الخارجي من أجل فكّ اللبس الدلالي، بذنا نجد أنّ البنية النصّية لا تُحقّق دلالتها من الدّاخل بتحليل التراكيب اللغوية الداخلية فقط، بل تشير الضمائر إلى سياقات خارجية توفر معلومات إضافية عن مضمون النّص، مثل قول الشاعر مفدي زكريا:

نوفمبر جلّ جلالك فينا ... ألسنت الذي بثّ فينا اليقيناً

فـ"نوفمبر" لا يمثل شهراً عابراً في ذاكرة الشعب الجزائري بل يمثّل رمزا على الفاتح من نوفمبر، التاريخ الذي تفجّرت فيه ثورة التحرير وموعد الولادة الجديدة التي أقسم بها الشعب الجزائري، فهو تاريخ مرتبط بالذاكرة والإرادة والتضحية والاعتزاز بالنّصر والحرية.

2. دور السياق في تخصيص الدلالة. (6ن)

من الخطوات المنهجية التي يُقارب بها المحلل دلالة النّص، اعتماده على السياق لأنّ وظيفته تكمن في تحقيق الخصوصية التركيبية والدلالية للنّص، ذلك أنّ البنية النصّية تتركّب من الروابط السياقية والقارئ المقامية، وهذا النظام يقبل التبدّل كلما تبدّل السياق. هذا يعني أنّ البحث عن دلالة النّص لا يكون بمعزل عن السّياق بل بواسطته، ولنا أن نتساءل لماذا بعض النصوص -بما في ذلك السور القرآنية-، يختلف حجمها كما يختلف مُفتّحتها وموضوعها وموقفها، لأنّ لكلّ نص سياق موقف يعمل على توجيه الدلالة

وتخصيصها لنتناسب مع الموقف (ديني، اجتماعي، عاطفي، تعليمي..). بناء على ذلك قسم العلماء السياق إلى أنواع، هي:

- السياق النصي:
- السياق الوجودي:
- السياق المقامي:
- سياق الفعل:
- السياق النفسي:

3. كيف يوفر المقام التواصل علاقة تفاعلية بين النص ومتلقيه؟ (8ن)

يتحوّل النص في المقام التواصل إلى فعل كلامي منجز لأنّه يدخل في دائرة تواصلية تفاعلية تربط أوله بآخره، وهو كما يصف "بن ظافر الشهري" نشاط مشترك بين الأطراف، لذا تُساعد معرفة المقام التواصل والسيّاق الذي يحدث فيه فعل التّخاطب على فهم استراتيجيات بناء الخطاب؛ لأنّ معرفة عناصر السيّاق تُسهم في عملية التّعبير عن المقاصد والاستدلال لإدراكها، وعليه فإنّ اختيار الأدوات والآليات اللّغوية يعدّ انعكاساً للعناصر التي تشكّل في مجموعها سياقاً معيناً يبرز من خلال لغة الخطاب، وبمعرفة يمكن تفكيك هذه اللغة للوصول إلى المعنى المقصود أو الغرض المراد.

فبين النصّ ومُتلقيه مقام تواصلية وفسحة تخطابية تحقّق مقاصد لا تمضي دون ترك أثر نفعي، وبالتالي يقوم المحلّل بتتبّع الفضاء الزماني والمكاني والشخصيات المرسلّة والمرسلّة إليها والمضامين النصّية وأبعادها التداولية. فالنصّ في هذا المقام يتحوّل إلى لغة تواصلية ذات وظيفة مقصدية تأثيرية، لذلك لا ينبغي الاكتفاء بالعناصر الشكلية التي يُبنى بها النصّ، بل لابد من توجيه الدّراسة إلى العلاقة المُتبادلة بين البنية النصّية والسيّاق الدلالي والمقام التّواصل، أي إخراج النصّ إلى عالمه الخارجي ليغدو (خطاباً)؛ أو ممارسة لغوية، فضمن هذا التفاعل تتجلى العلاقة بين السيّاقات اللغوية والدلالية والتداولية.

إنّ النصّ وفق هذا المعطى ذو وظيفة تواصلية بوصفه: "وحدة لغوية تواصلية"، الغرض منها تحقيق التّواصل بينه وبين متلقيه، وهنا يتجلى الجانب الوظيفي للنصّ المتمثّل في إيضاح الغرض من هذا التّواصل، ممّا يعني أنّ النصّ لا يُمكن تجزيه عن وظيفته المقامية التّواصلية، فهو إضافة إلى كونه بنية لغوية مترابطة ووحدة دلالية متماسكة، يمثّل أيضاً فعلاً لغوياً يُحقّق غايات.

بناء على هذا، تعدّ مرحلة تركيب الخطاب مهمة، عن طريق اختيار الألفاظ التي تتناسب مع الحدث التواصل على هذا الأساس يُدرس المنجز اللّغوي في إطار التّواصل، وليس بمعزل عنه، لأنّ الخطاب لا يؤدي وظائفه إلا فيه.